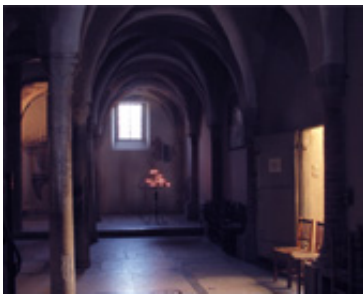


حديث : اتق الله حيثما كنت

09:40:18 2005-10-23 | الشبكة الإسلامية



متن الحديث

عن أبي ذر جندب بن جنادة ، وأبي عبد الرحمن معاذ بن جبل رضي الله عنهما ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالف الناس بخلق حسن) رواه الترمذي وقال: حديث حسن .

الشرح

التقوى هي سفينة النجاة ، ومفتاح كل خير ، كيف لا ؟ وهي الغاية العظمى ، والمقصد الأسمى من العبادة ؟ ، إنها محاسبة دائمة للنفس ، وخشية مستمرة لله ، وحذر من أمواج الشهوات والشبهات التي تعيق من أراد السير إلى ربه ، إنها الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والقناعة بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل .

من هنا كانت التقوى هي وصية الله للأولين والآخرين من خلقه ، قال تعالى : { ولقد وصينا الذين أتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله } (النساء : 131) ، وهي وصية النبي صلى الله عليه وسلم لجميع أمته ، ووصية السلف بعضهم لبعضهم ، فلا عجب إذا أن يبتدأ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم نصيحته ل معاذ بن جبل و أبي ذر رضي الله عنهما .

والتقوى ليست كلمة تقال ، أو شعاراً يرفع ، بل هي منهج حياة ، يترفع فيه المؤمن عن لذائذ الدنيا الفانية ، ويجتهد فيه بالمسابقة في ميادين الطاعة ، ويبتعد عن المعاصي والموبقات ، وقد جسد أبي بن كعب رضي الله عنه هذا المعنى لما سئل عن التقوى ؟ فقال : " هل أخذت طريقاً ذا شوك ؟ قال : نعم ، قال : فكيف صنعت ؟ قال : إذا رأيت الشوك عزلت عنه أو جاوزته أو قصرت عنه ، قال : ذاك التقوى " وقد أخذ ابن المعتز رحمه الله هذا المعنى ، وصاغه بأبيات بديعة من الشعر فقال :

خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى
واصنع كما شئت فوق أرض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيراً إن الجبال من الحصى

ومن تمام التقوى ، أن يترك العبد ما لا بأس به ، خشية أن يقع في الحرام ، ويشهد لذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : (فمن اتقى الشبهات ، فقد استبرأ لدينه وعرضه) رواه مسلم ، وفي هذا المعنى يقول أبو الدرداء رضي الله عنه : " تمام التقوى ، أن يتقي الله العبد ، حتى يتقيه من مثقال ذرة ، وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال ، خشية أن يكون حراماً ، فيكون حجاباً بينه وبين الحرام ، فإن الله قد بين للعباد الذي يصيرهم إليه فقال : { فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره } (الزلزلة : 7 - 8) " ، فلا تحقرن شيئاً من الخير أن تفعله ، ولا شيئاً من الشر أن تتفقيه .

وفي قوله صلى الله عليه وسلم : **(اتق الله حيثما كنت)** تنبيه للمؤمن على ملازمة التقوى في كل أحواله ، انطلاقاً من استشعاره لمراقبة الله له في كل حركاته وسكناته ، وسره وجهه ، وفي قوله صلى الله عليه وسلم : **(اتق الله حيثما كنت)** إشارة إلى حقيقة التقوى ، وأنها خشية الله في السر والعلن ، وحيث كان الإنسان أو صار ، فمن خشى الله أمام الناس فحسب فليس بتقي ، وقد قال تعالى في وصف عباده المؤمنين : **{ من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ، ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود }** (ق : 33 - 34) .

وقد يظن ظان أن المتقي معصوم من الزلل ، وهذا خطأ في التصور ؛ فإن المتقي قد تعتريه الغفلة ، فتقع منه المعصية ، أو يحصل منه التفريط في الطاعة ، وهذه هي طبيعة البشر المجبولة على الضعف ، ولكن المتقي يختلف عن غيره بأنه إذا تعثرت به قدمه ، بادر بالتوبة إلى ربه ، والاستغفار من ذنبه ، ولم يكتف بذلك ، بل يتبع التوبة بارتياح ميادين الطاعة ، والإكثار من الأعمال الصالحة ، كما أمره ربه في قوله : **{ وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين }** (هود : 114) ومن هنا قال النبي صلى الله عليه وسلم : **(وأتبع السيئة الحسنة تمحها)** .

ولئن كانت التقوى صلة مع الله تبارك وتعالى ، وتقرباً إليه ، فهي أيضاً إحسان إلى الخلق ، وطيبة في التعامل ، وإعطاء كل ذي حق حقه ، وهكذا يظهر لنا التكامل والتناسق في القيم الإيمانية ، فإن الأخلاق الحميدة رافدة من روافد التقوى ، وشعبة من شعب الإيمان .

وللأخلاق الفاضلة مكانة عظيمة في شريعتنا ، فإنها تثقل ميزان العبد يوم الحساب ، ويبلغ بها درجة الصائم القائم ، وهو سبب رئيس في دخول الجنة ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ؟ ، قال : **(تقوى الله ، وحسن الخلق)** رواه أحمد .

وإذا عرفنا ذلك ، فإن هناك وسائل تعين العبد على التخلق بالأخلاق الحسنة ، أعلاها : التأمل في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء ، لاسيما وأنهم أعلى الناس خلقاً ، وأوفرهم أدباً ، فإذا أراد المسلم التحلي بالصبر ، قرأ قصة نبي الله **يوسف** عليه السلام ، وإذا أراد التخلق بالحلم ، نظر إلى حلم رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومه ، وهكذا ينهل من أخلاق الأنبياء ، ويتعلم منهم شمائل الخير كلها .

وبعد : فقد تبين لنا من خلال هذا الحديث معاني التقوى وأحوالها ، كما تبين لنا أيضاً أن الإسلام يقبل من العاصي توبته ، ولا يطرده من رحمة الله ، وظهرت لنا معالم الخلق الحسن وأهميته ، فجدير بنا أن نعمل بهذه الوصايا الثلاث ، نسأل الله تعالى أن يجعلنا من عباده المتقين.